@ 267 @ وقد تقدّم قول المفسرين في طوله ، ونبه على استحقاق طالوت للملك باصطفاء ا له على بني اسرائيل { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ } وبما أعطاه من السعة في العلم ، وهو الوصف الذي لا شيء أشرف منه : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء } أنا أعلمكم با ومن بسطة الجسم ، فإن لذلك عظماً في النفوس وهيبة وقوّة ، وكثيراً ما تمدّحت العرب بذلك قال الشاعر : % (فجاءت به سبط العظام كأنما % .

عمامته بين الرجال لواء .

. %)

وقال : % (بطل كأن ثيابه في سرحة % .

يحذى نعال السبت ليس بتوأم .

. %)

وقال : % (تبين لي أن القماءة ذلة % .

وان أعزاء الرجال طيالُها .

. %)

وقالوا في المدح : طويل النجاد رفيع العماد ، وكان رسول ا صلى ا عليه وسلم) ، إذا ماشى الطوال طالهم . قال ابن زيد : كانت هذه الزيادة بعد الملك ، وقال وهب ، والسدّي ، قبل الملك ، فالمعنى : وزاده على غيره من الناس بسطة ، بالسين ، أبو عمرو ، وابن كثير ، و : بالصاد نافع ، وابن كثير ، رواية النقاش ، وزرعان ، والشموني . وزاد : لئن بصطت ، وبباصط ، وكباصط ، ومبصوطتان ، ولا تبصطها كل البصط ، وأوصط ، وفما اصطاعوا : ويصطون ، والقصطاس ، وروى نحوه : أبو نشيط عن قالون . .

{ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ } ظاهره أنه من معمول قول النبي لهم ، لما علم بغيتهم في مسائلهم ومجادلتهم في الحجج التي تبديها ، أتم كلامه بالأمر القطعي ، وهو أن ا هو الفاعل المختار ، يفعل ما يشاء . ولما قالوا : { وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ } فكان في قولهم ادّعاء الأحقية في الملك ، حتى كأن الملك هو في ملكهم ، أضاف الملك إلى ا في قوله : ملكاً ، فالملك ملكه يتصرف فيه كما أراد ، فلستم بأحق فيه ، لأنه ملك ا يؤتيه من يشاء ، وقيل : هاتان الجملتان ليستا داخلتين في قول النبي ، بل هي إخبار من ا تعالى لنبيه صلى ا عليه وسلم) ، فهي

معترضة في هذه القصة ، جاءت للتشديد والتقوية لمن يؤتيه ا الملك ، أي : فإذا كان ا تعالى هو المتصرف في ملكه فلا اعتراض عليه { لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ } وختم بهاتين الصفتين ، إذ تقدّم دعواهم أنهم أهل الملك ، وأنهم الأغنياء ، وأن طالوت ليس من بيت الملك ، وأنه فقير فقال تعالى : إنه واسع ، يوسع فضله على الفقير ، عليم بمن هو أحق بالملك ، فيضعه فيه ويختاره له . .

وفي قصة طالوت دلالة على أن الإمامة ليست وراثة ، لإنكار ا عليهم ما أنكروه من التمليك عليهم من ليس من أهل النبوّة والملك ، وبين أن ذلك مستحق بالعلم والقوّة لا بالنسب ، ودل أيضاً على أنه لا حظ للنسب مع العلم ، وفضائل النفس ، وأنها مقدّمة عليه لاختيار ا طالوت عليهم ، لعلمه وقدرته ، وإن كانوا أشرف منه نسباً . .

وقد تضمنت هذه الآيات الشريفة الإخبار بقصة الخارجين من ديارهم ، وهم عالم لا يحصون ، فراراً من الموت ، إما بالقتل إذ فرض عليهم القتال ، وإما بالوباء ، فأماتهم ا ثم أحياهم ليعلموا أنه لا مفر مما قدّره ا تعالى ، وذلك لئلا نسلك ما سلكوه ، فنحجم عن القتال ، فأتت هذه الآية مثبتة لمن جاهد في سبيله ، وذكر تعالى أنه ذو فضل على الناس ، وذلك بإحيائهم والإحسان إليهم ، ومع ذلك فأكثرهم لا يؤدّي شكر ا . ثم أمر بالقتال في سبيل ا ، وبأن نعلم أنه سميع لأقوالنا ، عليم بنياتنا ، ثم ذكر أن من أقرض ا فا يضاعفه حيث يحتاج إليه ، ثم ذكر أن